

حواشي الحبيب

واملاء الوجدان

قلم

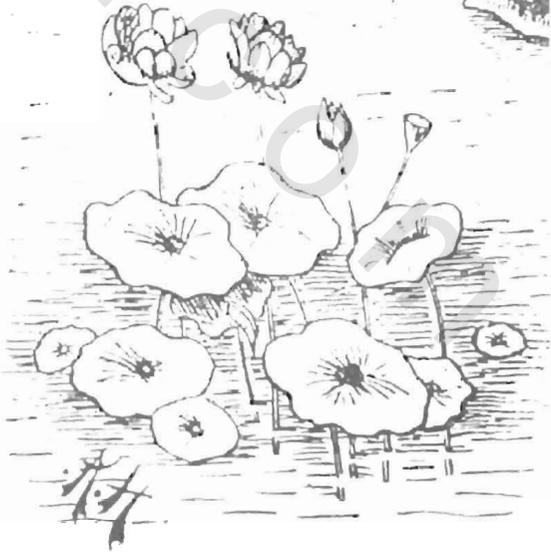
محمد كامل مبراج

لغة من صفحات الادب الوجداني — الادب في القرن التاسع عشر —
تراجم — تحليل — نقد — موسيقى — رسالة في الموسيقى والفلسفة
ابحاث بيكولوجية — برليوز — عنده (روايتان عمليتان)
دراسات متنوعة — الف ليلة — الحشاش — اجور — بيتهوفن
— فاغنر

وبه صوت المؤلف — الاميرة اولى فاتني — بيتهوفن — فاغنر

حقوق الطبع محفوظة .

سنة ١٩٣١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمدًا لمنّ على الإنسان بفيوضه الربانية ، ونفحاته المباركة العلوية ،
حتى سما إلى أرفع ذرى الخيال ، وانتج في عالم البلاغة انجم مثال ، وصلاة
وسلاماً على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب ، ومن فتن بروائع بلاغته
العقول والالباب ، وبعد فاهدى إلى القراء بعض ما جادت به القريحة وجمال
فيها الخيال من فنون مختلفة وأبحاث متفاوتة وقليل من قطع معربة في التمثيل
وغيره عسى أن تصادف قبولا عند الجمهور الكريم ولا أنسى الحفاوة العظيمة
التي تقبل بها القراء والفضلاء « بلاغة العرب » ولعمري أنها لتدل على كرم
حاتمي وتسامح كبير حيال عمل لا يستحق كل هذا الثناء ، واني أقدم لهم
واجب الشكر على هذا العطف الكريم وتلك السجايا النادرة وأدعو الله
أن يوفقنا جميعاً لخدمة الأمة وان يمكننا من أداء الواجب انه سميع مجيب

خواطر الخيال واملاء الوجدان

الربيع

ذهبت بعد ظهيرة يوم طاب هواؤه ، وصفت سماؤه ، مع رفقة من خير الاصدقاء ،
وصفوة الاحباء ، الى القناطر الخيرية لمتنع منا النواظر . ونجلى الخواطر . ونمحو
ماخط على جباهنا من غضون . سطرتها الهموم والشجون . بجمال الربيع المتجلى
بمظاهره الساحرة . فوق تلك الجنات الناضرة . والياه اللجينية الجارية . والافياء
الظليلة الوارفة

هناك مهد الربيع وايوانه . وبهاء الطبيعة الغض وسلطانه . ومهبط طيف
الشعر والخيال . ومظهر الجمال والجلال . ومهب النسيم الاربيع . ومنبت الزهر
الشدي البهيج

هناك ملتقى الانهار . وقررة الانظار . وقبلة النعيم . وشفاء السقيم . وملاذ
المحزون . وسلوان الفتون

خطت هذه الجنان الفيحاء . والغابات الغلباء . بذوق سليم إذ توخى فيها تمثيل
الطبيعة وحراجها . وروابيها ومروجها . وخائلها ودروبها . ودوحها الشاهق . ونخلها
الباسق . فأصبحت يتيمة عقد رياض القطر فلا ترى فيها شكلا هندسياً ولا سطحاً
معتداً . وقد نثرت فوق تلك البسط الزمردية أشجار تفاوتت أحجامها واختلفت
ابعادها واتجاهاتها .

يظن الساذج ان تلك الروضات لا نظام لها خالية من الفن والترتيب ولكنها
في الحقيقة خاضعة لنظام دقيق فني لا يدركه إلا من أوتي ذوقاً رفيعاً ومارس فن
النباتات وتخطيط الحدائق زمناً طويلاً

سارت بنا مركبة (الترولي) فوق تلك القناطر الفخمة وماء الترع يتدفق من
فوق أبواب العيون الموصدة وهو يدوي عند تدهوره كالرعد القاصف . والسيل

العرمرم الجارف . ويدحرج اللعجج الهاهجة المزبدة حتى وصلنا الى الحديقة الاخيرة في الضفة الثانية من التربة المنوفية وهي بيت القصيد من تلك الجنان واحدها عهدا عرجنا يسرة عند ملتقى النيل بتلك التربة وصعدنا الى ربوة شائقة سائرين في ممر نثرت في جانبيه شعب من أصول الاشجار العظيمة وغطى طرف منها بالطين غرست فيه بعض النباتات الفارشة من (بلومباجو) كلس بزهره الازرق الصافي (وجيرانيوم بلتاتوم) وقد ازدان بازهاره من أحمر وأبيض ووردي (وروسيليا جونسيا) وقد استرسلت فروعها الشعرية وتدلّت عناقيدها الرجانية

جلسنا فوق مقعد بقمة تلك الربوة وعلى كئيب منا شجرة (دوتزيا كرينانا) كاسية بعناقيدها البيضاء الناصعة كأنها مجللة بالجليد وقد زرعت حولها دائرة من (اليبجونيا) ذات الازهار المستمرة فلمعت أوراقها كالاطلس وغطيت بازهارها الرشيقة الحمراء . وعلى مقربة منا دائرتان احدهما من المنثور والثانية من الخيري وقد تزوع المكان بارجهما الشدي

أشرفنا من هذه الربوة الزمردية على ذلك الفردوس الفخم وقد امتد أمامنا فرش السندسي ونثر فوقه بديع الزهر ورشيق النور كأنه بساط من استبرق نثر عليه الأوّلؤ والياقوت والزبرجد والماس

انتقلنا الى الجهة اليمنى فشهدنا أشجارها الباسقة من اللبخ (والبوانسيا ناريجيا) وغيرها وقد تسلقت عليها (البوجفليا) الحمراء (والرينكوسبرموم) الياشميني بازهاره البيضاء التي تحاكي الياشمين في رياه وشكله (والبومونسيا) بازهارها التي تشبه الابواق البيضاء وشذاها المنعش

جلت هذه المتسلقات جذوع تلك الاشجار وكستها ثيابا بديعة وصعدت فروعها الى افنان الدوح لتعانقها وتلمسها وتحمي بها من غائلة الرياح العنيفة التي تعبت بأغصانها الرفيعة المدنة .

نبئت تحت ظلال خمائل الايك نباتات مختلفة تحشي الشمس والقر والقيظ

مثل كزبرة البئر والمرخس والهلجون الريشي (والبروميليا) (والكليفيا)
فاصبحت تمثل ركناً من أركان غابات البريزيل

تخبرنا هناك مكاناً جميلاً فيؤه ظليل ، ونسيمه عليل ، على ضفة بركة ماؤها
سلسبيل ، وبه مقعدان كبيران تظللهما شجرة من الخلاف المتدلي

لبثنا لحظة سكوتاً نفكر في جمال الربيع وبيننا انا مفتون بهذا الحسن الساحر
اذ عبثت الصبا بفدائر الخلاف المسترسلة فمسحت وجهي كأنها تداعبني وتلاطفني
فالتفت الى الشجرة فرأيت طيف الشعر فجاجني بصوته العذب : « خذ اليراع
والقرطاس ومجد الربيع بما أوحيه اليك من فائن النفحات

— سلام زينة الكائنات ، وموقظ الارض من السبات ، تحية طيبة يا كاسي
العود ، بقشيب البرود ، ومرصع الاشجار ، برشيق الازهار ، وشذي النوار ،
ويانع الثمار

تعرض جميع المخلوقات على الهيام ، فتوردها موارد الجوى والآلام ، وتطلق
ألسنه العنادل ، والشحارير والبلابل ، فتصدح بشجي الانغام ، معربة عما يخالجهما
من ضرام الغرام ، وتغري الازهار فتنفر من براعمها ، وتهرب من سجن اكلامها
ناشدة عشاقها ، من نحل وفراش تعانقها ، وترتشف معسول ثغورها

أي ربيع العيش ، ورائد النزق والطيش ، ومهلك النفوس والاجسام ، ومفسد
الالباب والاحلام ، يالك من اعى اصم ، وظالم غشوم لا يرحم ، لا يردعك عقل
ولا خلاق ، ولا يروعك ارهاب ولا ارهاق ، اغرك عنوان الشباب ، فضلت محجة
الصواب ، وانعمست في حماة المذات ، وشرفك ربك فأبيت إلا أن تماثل العجاوات
رباه انك تعلم اتى زلت ربيعي بشكيمة العقل وقضيت أيامي كلفاً بنيل متفاوت
المعلومات ، واداء الواجبات ، مولعاً بمجيد الكماليات ، مستبشعاً كل لذة جمانية ،
مستمرناً المذات الشريفة النفسية ، ولكن النفس لم تبلغ منهاها ، ولم تؤد من
واجباتها منتهاها ، فعساك اللهم تطيل أيام صبوتي ، وتمد في زعيم صحي ، لا تم
فروضي وواجباتي ، وفي ذلك هناءتي وسعادتي ، ومطمح أمني وأمني

الزمن

سلام أيها الخالد الفتى ، سلام أيها العادل القوي ، بوركت يا شيخ الحكماء ،
وامام الفلاسفة والعلماء !

أنت محيي الفضل ومخلده ، ومعلي الحق وممجده ، ومزهق الباطل ومبدده ،
أنكر فضلك الجهلاء ، ولعنك ظلماً الاغبياء ، وما ذروا انك مثقف الاحلام ،
ومصحح الاحكام ، لم يفلح أبواي في تأديبي ، ولا استاذتي في تهذيبي ، وكنت
وحدك لي خير مؤدب ، وأفضل وأعظم مهذب

كنت بالامس أظن الجهلاء فضلاء ، والوزانين شعراء ، والخونة أمناء ،
والمنافقين اصدقاء ، والظالمين أبرياء ، والمراثين اتقياء ، فرفعت عن طرفي غشاوته ،
وأزلت عن قلبي غفلته ، فتجلت لي الحقيقة باهى مظاهرها ، وأكمل معانيها

أيها الزمن ! علمتني القناعة فغنيت ، ونعمتني بسعادة النفس فهذئت ، ودرعتني
بالصبر فلم أجزع ، وسلحتني باحتمال المكاره فلم أهلع ، ورضي عني الناس فارتاح
ضميري ، وانشرح صدري ، فلست مؤملا من دنياي بعد هذا غير رضا الخالق
لم أنس وفتنك أيها الزمن امام المأمون وقد سوت له نفسه أن يهدم أثر
الفراعنة الجليل وأنت تضحك منه وتقول له : « ذراعك قصيرة أيها الفرع عن أن
تعال منه نيلا ، ولا تستطيع جميع الانام ، ان تدمر ماخلدته الايام ! »

ظهرت النوابع في عصور كان أهلها والانعام سواء فرأى بعضهم ان الانتحار
خير وسيلة للتخلص من هذا الخلف المشؤوم ، والخلق المدموم ، وفضل الآخرون
اعتزال هاته الانعام والانزواء في بيوتهم ، لتجنب ازدرائهم وسخريتهم

زجج الشعر في صدر (توماس شاترتون) وهو غلام فأصبح وهو في ريعه
السابع عشر شاعراً مجيداً ولم يؤثر شعره في قومه حتى يكفوه غائلة الجوع وكان

يسخر منه محافظ لندره قائلا له : انك يا بني عايش في عالم الاوهام ، سامح في بحار الخيال والاحلام ، وما هذا الا باطل لا ينفعك ولا ينفع الناس ، واعلم ان الله خلق انكلترا كهيئة سفينة قائمة بمراقبة القارة الاوربية وقد انبعث منها مئات مثلها من السفن تمثل دولتها في مستعمراتها، وقد قام الملك واللوردات بجانب العلم والبوصلة والخيزرانة وأمسكت الامة بحبالها ومدافعها فلا ترى أحداً وسط هذه الممعة عديم الفائدة ، فانبثني اذاً عما يعملها الشاعر وسط الملاحين

فأجابه (شارتون) « ان الشاعر ليجت في النجوم عن طريق السفينة التي

تشير اليها أصبع الخالق »

ثم ناوله اللورد ورقة وقال له . « هذه مائة جنيه ففكر في الامر فان هذا المبلغ

لا يستهان به »

تناول الورقة ولم يكذب يتم قراءتها حتى جن من الغضب والغيط وهرول الى غرفته التي استأجرها بمسكن (كيتي بيل) صاحبة محل الحلوى الذي دار فيه الحديث بينه وبين المحافظ وبعض رفاقهما فشرب جرعة كبيرة من محلول الافيون فسمع أنينه طبيب فرنسي كان يتردد الى هذا المحل فهرول اليه فوجده في الاحتضار وقال له : « أيتها الطيب ! اشتر جتني بديني » ثم أسلم الروح وهو في ريعه الثامن عشر ووجد الطبيب فوق منضدته ورقة كتب فيها « اتى مدين لرب البيت بثلاثة جنيهات مقابل سكناي عن ستة شهور وعسى أن لا يأسف المستر (كيتي بيل) حينما يبلغه ان طفليه كانا يعطيانني في بعض الاحيان شيئاً من الحلوى وكان ذلك قوتي الوحيد » وبجانب هذه الورقة التي ناولها له اللورد وانتحر بسببها فاذا فيها : اتى أعرض عليك أن تكون خادمي الاول مقابل مائة جنيه في العام »

لم يجد قوم (جوت) وهو زعيم شعرائهم قولاً يظرونه به غير قولهم : « انه

كان جميل الخط ولم يخطيء في الاملاء »

ولما مثلت أويرا (كارمين) الموسيقى الفرنسى الشهير (بيزيه) صفر له

الحاضرون صفير الازدراء والسخرية فاحتم الرجل ومات مكوداً بعد بضعة أيام

ولم ير الموسيقى الشهير (هايدن) مزية في أبي الموسيقى واكبر نابغة فيها
(بيتهوفن) الا : « انه يحسن التوقيع على الكلافسان »
اعتزل (بيتهوفن) الناس وبلغ به الامر ان شك في نبوغه ولبث حاملا الى ان
مات فقيرا حليف الموم والاشجان

لم يكن للمصور الفرنسي الشهير (جيريكو) بين قومه قدر يذكرك اذ لم يعترفوا
له الا بانه « كان يسحق الاصابع جيدا »

عزى الزمن هؤلاء المنكودين الذين عثر بهم الجد قائلا: « صبرا أيها الكرام
فقد عجزت عن هؤلاء الانعام ، وان لم يظهر فضلكم اليوم فغدا يملأ الحافقين
ويدوي صدهاء في المشرفين

اجتاحت الايام ، هؤلاء الطعام ، وخلف من بعدهم خلف كريم ، هذبه الزمن
فوجد هؤلاء النوابغ وخلد ذكركم ، ونشر آثارهم حتى عمت اركان الارض
وأصبحت نموذج الكمال ، ومثال الجمال والجلال ، وأضحت رفات هؤلاء النوابغ
تقول في رموسها : « بوركت أيها الزمن الحكيم ، والمنصف البار الكريم ! »

الزهرة والشيطان الجميل

بعدا أيها الشيطان الجميل ! بعدا أيها الفتان الخائن ! بعدا أيها الممثل الماثلن ! بعدا
أيها الافعى التي لان ملمسها وفي أنيابها العطب ! بعدا أيها الكأس التي يلذ
للشارب أولها ويقتله آخرها ! بعدا أيها النمر الملتحف بجلد المهابة ! بعدا يا من يصبغ
فؤاده بالرياء والسواد كما يصبغ وجهه بالحرة والبياض ! بعدا يا من كلامه كالعسل
وفعله كالأسل ! بعدا يا خضراء الدمن ونكد الزمن ! بعدا أيها السراب الغرور
بعدا يا جرثومة الشرور !

بلوتك ففرت منك فرار الآبق ، حاولت افتتاني آونة بجمالك ، وطورا
بسحرك ، وتارة بحولك ، وأخرى بحيلك ، فما طلت مني طائلا ، ولا نلت مني
نيلا ، ورجعت بصفقة المغبون ! وكدت تأكل سبابتك من غيظ وجنون

لو كنت صادقا في حبك، شريفاً في خلالك، لكنت ملكاً كريماً بيت الهناءة
اني سار، يريح القلوب، وبزيغ الكروب، وينسي المصائب، وينشط الانسان
على الكدح في دنياه بهمة لا تعرف الملل، وقلب ملؤه الآمال
هبطت من مقام الملائكة الى حظائر الانعام بمحض اوارتك مفضلاً المذات
البهيمية على المذات الشريفة النفسية فتمرغت في حمأة المربقات، بعدما كنت
معلقاً فوق ازاهير الجنات

اقربي مني أيتها الزهرة البديعة فانت عندي خير من هذا الشيطان الجميل
انت روحي وربحائي ايفتنني مرآك، وتنعشي ريبك انت لي في وحدتي خير انيس
وادي واخلص جليس ! انت نموذج الجمال ! انت مثال اللطف والبهاء !
لا تخشي مني لمسا يذهب بنضارتك او هجرأ يقضي على رشاقتك فأنتي نعم
الوفى الامين والمخلص البار

لست من غلاظ القلوب والاكباد الذين يقطعون عنقك دون رحمة ليزينوا
بك صدوراً قبحتها الشرور . وبثبتوك بارهم دون شفقة لثلاثتلي من العذاب
وسرعان ماتمو تين فيطرحونك تحت اقدامهم . وما حملوك حبا فيك بل طلباً المزينة
ومأربه لا حفاوة

اتني احبك وأغار عليك من النسيم فلربما استرق من شذاك وحمله لقوم
لا يستحقون الاربع السموم أو ساق اليك من جرائمه ما يؤذيك فاحميك في
مكنون الحجرات واخصك بالزالال البارد ولو لم يكن عندي منه غير ما يقع
الغلة . إتنى أقنع بمقعد خشن وأوثرك بشمين البلور المزخرف بصفائح انضار . اتني
أجلب اصلاك من مشارق الارض ومغاربها بثمان غال وأخدمك بنفسي وأخصك
باحترامي واجلالي فانت بهجة النفوس، وربحانة القلوب، ونعيم الدنيا والآخرة
أنت نعيمي وهناءتي انت عزائي في بلائي انت جليسي في وحدتي، انت انيسي
في وحشتي، انت سلواني في همومي واحزائي

فسلام أيتها الزهرة وبركات تبرى عليك لتحميك مدى الازمان، من
سوة الانسان

مضرى ريفى

قاسيت من سكني المدينة آلاما ثقالا ، وأعواما طوالا ، قضيتها بين ضيق صدر وقلق ، ووطأة حر وأرق ، لا يتسرب النوم الى أجناني وقت المهجير من أناشيد باعة حب العزيز ودفوفهم ، وأغاني بائعي الحلوى الثلجة وأبواقهم ، وصخب الصبيان ولغظهم ، فكنت أهرع في الآصال الى الحلوات أو ضفاف النيل لاستطيع أن أحضر مسألة أو أحرر كلمة

أردت أن أيمم الحلوات وأنخير منها مقامطيا ساكنا هنيئا بين الحقول النظرة والمياه الجارية والظلال الوارفة والهواء الطلق في بقعة لا أحتاج فيها الى سفر يلجئني الى ركوب قطار أو انتظاره فعثرت بعد البحث والتنقيب على موطن مبارك بشبرا في أطراف حديقة (شيكولاني) وجدت فيه داراً فيحاء ، زينها حديقة صغيرة غناء ، تعانقها الحقول من جوانبها الاربع وقد خيم عليها السكون واكتنفتها الدعور فرفرف فوقها نسيم الصبا وصفرت حولها الرياح من زرع ورخاء ، وشمال ونكباء

كنت ذات يوم جالسا في طنفي الشمالي أروح نفسي بنفحات النسيم العليل مسرحا ناظري في مزارع البرسيم الواسعة المزرية يبسط الاستبرق الاخضر وقد انتثرت فيه الانعام السائمة من ضأن ومعز وبقر وإبل تجلبت بمختلف الثياب وبجانب البرسيم حقل زرع برآ أو شك أن يدرك وقد اقترشته شمس الاصيل فزادت لونه العسجدي توهجا وطنق النسيم يداعب سنابله حتى أمسى كأنه خضم زاخر مالت عليه الشمس وقت غروبها فجعلته كذوب النضار

تهافت السيدات وأبناؤهن وغالبهم من الافرنج على هذه الحقول الفتانة والحلوات الجذابة ليمرحوا ويلعبوا ويفنوا متلهلين بذاك النعيم العظيم قامت على كئيب من هذه الحقول الباركة البقية الباقية من حديقة (شيكولاني) وقد ضرب حولها سور من حديد وارتفع وسطها كهف بنى بدوق سليم وعلاه كوخ صنع من سوق النخيل بشكل رشيق يأخذ بمجامع القلوب زينه شجرة من

(البوجفيليا) الحمراء وقد احتضنت أعواد الكوخ وكست جوانب الكهف بظلالها
السترسة وارتفعت وراء هذا الغار أشجار عظيمة من (الفيكوس) كانت له بمثابة
ستار أخضر يحجب ما خلفه ويزيده رونقا وبهاء . وقامت على عيونه نخل باسقات
مالت عراجينها يبسرها الأحمر والأصفر كأنها غادات رشيقات مسيلات شعورهن
وبآذانهن أقراط من نضار وياقوت

ما أجل الليل في تلك الموطن وما أحيلي بدمه إذ يتجلى في تلك الفجاج
الترامية بسناه الناصع، ولألانه اللامع، بشكل يذهب بالأشجان بشير الشعر في القرائح
الحامدة، ويؤجج العواطف في القلوب الجامدة

أجلس في الساء في طني لاروح النفس بنسيم عليل يحمل اليّ عرف أزهار
حديقتي فينعشني باريحه العبق وتشجيني موسيقي الطبيعة إذ يبدأ الكروان بغناؤه
الشجي بعد الغروب ثم يليه عند اقبال الظلام جوق الجندب بصفيره الرنان . وعلى
كثب من ذرانا ساقيتان احدهما خلفنا والاخرى أمامنا تدوران الهزيع الاول
من الليل وقد تباين صوتاهما فكانت احدهما تحكي أنين (الفريد دوموسيه) وقد
هجرته خليلته، والاخرى تمثل شكوى (الفريد دوفيني) وقد خانتها خليلته

وعلى رمية سهم من الجهة الغربية تجري التربة البولاقية وقد نصبت عليها
الشواذيف وحينما يأتي دور المناوبة ويفرغها الماء يهرع اليها الضفدع ويعني بصوته
الغليظ كما يجأر في الاذكار سوقتنا بلوقم بشكل يفر منه الدين قبل النفوس

كثيراً ما أسمع في سكون الليل ألحانا تنبعث حولنا ترددها كواعب غريات
بنغمات نوقظ ما سكن من أليم الذكري وتثير ما كمن من تباريح الهموم فيتبدل
سروري نكدأ ويفرورق طرفي بعبرات تحجب ما يراه من محاسن الطبيعة التي
كشفتها البدر فأهروا الى أعماق الحجر هرباً من ذلك الصوت الرخيم واستغثت
بكتاب قيم ينسيني متاعبي وآلامي ويخمد في صدري ما هاج من عنيف العواطف
وتأجج من مضمض الذكري

اتي استيقظ في الصيف عادة في الساعة الخامسة فأنزل الى حديقتي لانعش

نفسى بارجها الشذي وامتع طوفي بشروق الشمس وما تفتح من بديع الزهر ،
ورشيق النور، وأنشط بفلاحة الارض أعضائي وأعصابي من خودها الذي عراها
من النوم والسكون في حجر مقفلة ثم استأنف عملي في الاصيل وأروى نباتاتي
وأمنحها من العناية ما تتطلبه

أترقب ذكاه عند غروبها لا يتهج بمنظرها الشائق وقت المغيب كأنها درة
متدحرجة فوق بساط من زخرف يكاد توجهه يخطف الابصار وكأن السماء حولها
صفحة أصباغ المصور أو كأنها حريق صادف وقوداً مختلفاً فاندلعت منه أعلام من
نار تباينت ألوانها وكأن السحب وهي تحفها أقواس نصر شاحخة نصبت لوداع
الشمس وكسيت بألوية من مختلف الديباج وزينت بورود وأزهار متفاوته
الالوان

وترى آلافا مؤمنة من الزراير والعنادل فوق الايك صادحة للشمس بنشيد
الوداع باكية لفراق يسلمها الى سجن الظلام بعد ما كانت ترح مفردة متنقلة
من فنن الى فنن طاعمة من يانع الأثمار وشهي الجنى مرتوية من لذيذ ماء عناقيد
الاعناب

أيها العيش الجديد لقد هجت منى ذكري الطفولة الحلوة وقما كنت أجوب
المزرع والاجران فرحا مرحا كالفراش المتهلل اركب النورج وأصيد الاسماك
واستحم في الترع وانسى الغداء مستعيبا عنه بالذرة المشوية في الحقل
كنت خالي البال عائشا في ظل أبوي أسكنهما الله فراديس الجنان فياليتني
لبثت طفلا الى يومنا هذا وعاش لي أبواي ولم أدر أسرار الحياة وحقيقة الدنيا
ونكد العيش وسوء الحظ

تلك سنة الدهر فلنطأطئ له الرؤوس خاضعين صاغرين فلا حيلة معه تنفع
ولا حول لنا نجالد به وندافع ، مع خصم لا يهز وجبار لا يشفق ولا يرحم

فراش وفي

ناقت النفس بعد ظهيرة يوم من الخريف ، رق هواؤه ، وصفت سماؤه ، واعتل
نسيمه ، وغرد طيره ، أن تستملي الخيال ، وتناجي الوجدان ، فضن وجد ، وانظفاً
توقده وجد ، فاستعنتُ بطيف الشعر وهو أعظم رفيق ، وأوفى صديق فناجاني
أن لا تطمع مني بنيل مادمت في مكانك فاني أفقر من هذا الهواء المسموم ، واللغظ
المشؤوم ، وموعدنا الاصيل ، على ضفاف النيل

ذهبت الى روض الجزيرة المشرف على النيل ، وتخيّرت مكاناً خالياً بجانب
نفق جميل بني بأعواد الاشجار والصخور ، وجللته النباتات المتسلقة بديدع أزهارها
ونثرت فوق صخوره نباتات من فصائل مختلفة فكستها ثوباً قشيباً من حسن وبهاء
وجهت وجهي شطر المغرب لامتع ناظري برأي الشفق الشائق فانتعشت
نفسي من ذلك المنظر الفخم اذ رأيت فوجاً من السحب المربدة فوق الشمس عند
ما اصفرت من ألم الافراق فانعكست أشعتها فوق الغمام وازدان بفاتن الالوان فكأنتي
ارى قوس قزح وقد عظم حتى ملأ الغرب أو يخيل الي أنني واقف في ظلام الليل
فوق أكمة من آكام (نابولي) أشاهد منها بركان (فيزوف) وهو يقذف لهباً
تندلع منه السن عديده تلون كل منها بلون خاص وتشكل بأشكال مختلفة كون مجموعها
شكلاً بهيجاً يعلوه دخان كثيف رمادي اللون كأنه عهن منفوش أو أطار جميل
يحف صورة في الاقنان آية ، وفي الجمال نهاية

وبينا أشاهد هذا المنظر الشائق اذ رأيت طيف الشعر محلّقاً فوق رأسي ثم
أسر الى أنني سأفحك بنفحات ترضيك فخذ اليراع وصور ما سأسوقه اليك ثم
ودعني وانصرف .

لمحت بعد هنيهة طفلة جميلة كأنها دمية جاد بها بيان (فدياس) تعدو فوق بساط
العشب الزمردي وهي تطارد فراشاً جميلاً كأنه استعار برداً من ذلك الشفق ، أو
كأنه قطع من وريقات ورود مختلفة الالوان خيط بعضها الى بعض أو صفائح الجمان
رصعت بزبرجد وياقوت ومرجان وما لبث أن حط هذا الفراش فوق صدري كأنه

يتوسل الي أن أنقذه من صائدته الرشيقه فسحت الطفلة ولاطفها قائلا :
أتبيعيني هذا الفرش المسكين بصورة جميلة بمائك ولغافة شبيهة من
(الشكولاته)

— انك تخدعني ربيما يقلت صيدي

ثم منحتها الثمن فتهللت وهرولت الى مربيته وطفقت تفاخرها بئمن صيدها
هدأت روع الفراش وطمأنته وقلت له :

اتى أحبك حباً جماً فلا أستطيع مفارقتك فهل ترافقتي الى داري لتعرف
مكانها علك تزورني من آن لآخر وتتخذني صديقاً وفيماً
— ذلك ما كنت أبعيه فاتني مدين لك بحياتي .

ثم رجعت الى دراي وصديقي محلق في العلا متمتع بخطواتي الى أن وافيناها
فقلت :

— أهلاً بمثال الرشاقة واللاف ، أهلاً بآية الجمال والظرف ، مرحباً بصاحب
البرد المزرکش ، والطيلسان المرقش ، دونك أزهاراً نضرة من ورود و نرجس
وسوسن واقحوان ، فافتعد منها ماشاء وارشف ما تشتهي من رحيقها . ثم افتح لي
صدرك وخبرني عن سرائك وضرائك

— انا معشر الفراش خلق فتن بالازهار والرياض لانا كل إلا رحيقها
ولا نشرب غير نداها نانس بها ونانس بنا وتجنبا ونحبها وحينما يرانا الانسان
متعاقين يتملكه الحسد وينقض علينا ويسمر جناحينا بابه ثم يحقننا بسموم تكون
لنا قاتلة ومحنة ومحفظنا في رموس من الزجاج ويتخذ من رفاتنا زينة ، ومن عفتنا
ذخيرة أننا نحسن للانسان وهو لا يدري . ونعمل له الخير دون أن نعلمه اذ لا نريد
جزاء ولا شكوراً نحن الذين يبدعون له كل يوم من مختلف الثمار ما يلد له ، ومن
شائق الازهار ما يفتته نحن وحدنا الذين تفتح لهم عاشقاتهم الازهار ثغورها
للقحها من أبناء جنسها فنحدث لهم ألوانا شتى تسر الناظرين ، فياله من قاص ظالم
نعامله بالاحسان ويكافئنا بالعدوان

— هون عليك أيها الصديق البار فقد جبل الانسان على الظلم والعدوان وان أردت أن تتقى شروره فاعتزله واهرع الى الغابات العذراء واتخذها لك وحدك جنة تنعم بسكونها وترتشف ثغور زهرها وتنتعش بنسيم صباها وشميم شذاها، وحبذا لو تفضلت وزرتني من فترة لاخرى حتى أنعش النفس بحديثك الحلو وأمتع الطرف بمجالك المتجدد وتيقن انك تجد عندي في كل الاوقات من بديع الزهر ما تشتهي ان تفتت منه وتنعم به

ليتي أوتيت حريتك وهناءك ا ليتي وهبت جمالك ورشاقتك ، فانتقل من الزهرات الى الثمرات ، ومن العيون الجاربات ، الى شائق الجنات ، ومن الندي البليل ، الى النسيم العليل ، تتخذ من ثغور الازهار مضجعا ومن وريقانها المزرية يديع الديقاج غطاء ، ومن أوراق الافنان عرشا وسما

— سنلتقى قريباً فلا تخش فراقاً طويلاً أيها الصديق الوفي ، والمحسن السخي

— على الطائر اليمون ، تشييك المهج والعيون ! سلام ياملك الجنات !

سلام يامبدع الثمرات والزهرات ! سلام يارب الرشافة والجمال ، سلام ياحلو الشمال والحلال !

الادب مليف الشفاء

يرتاح روحي ويبتهج فؤادي لقراءة سطور الشفاء وآيات البؤس والآلام
ارتياح أذني لسمع ألحان الاشجان ، ونفحات التأوهات والاحزان ، ويهدأ أثري
وينعم بالي لرؤية تمثيل الفاجعات والا كدار ، ومطاردة القضاء ومعاندة الافدار
كنت ذات يوم منفرداً مهموماً مكروباً أستعرض جيوش شقائي ، وصور
بؤسى وبلائي لا أجد مجابي فؤاداً رحماً أشكو اليه بي فيسكن آلامي بكلمة حلوة
أو عبرة مترفرة آنس منها عطفاً واشفاقاً

كبر على الزمان أن يرى بجانبى فؤاداً رجباً يتوجع لبلائي ، ويتهلل لسعادتي
وهناأتي ، وبؤنسى في وحدتي ، وبسلينى في وحشتي ، فاختطف أما حونا بارة
صالحة فذهب بذهاها آخر قلب شفيق وخاتمة العزاء والسلوان والرحمة والحنان
وبينا أنا مطرق الرأس . مسترسل العبرات اذ شعرت بيد لطيفة تمسح رأسي
المطرق ، وطرفي المغرورق . نظرت الى الطارق فاذا هو طيف الشعر بوجهه
المشرق وثغره الباسم يقول : « بجانبك كتاب جديد لم تقرأه بعد وهو خير عزاء ،
وأجل شفاء »

أسرعت الى الكتاب وطفقت أقرأ صحفه بشوق زائد وارتياح عظيم فاذا
هو يسطر تاريخ (ديبورد فالمر) الشاعرة المحيذة الفرنسية مع نخب من قريضها .
كانت آية في الجمال ومثالا للرشاقة والرقية تشجي النفوس برخامة صوتها ، وتفتن
القلوب ببراءة تمثيلها ، وتسحر الحواس برائق شعرها ، ورائع بلاغتها
لم تؤثر جميع هذه المحاسن الخلابية ، والشمال الجذابة ، والمواهب العظيمة
الفتانة في الدهر حتى يرق لها ويشفق عليها ، بل ناضلها بفاجعاته وشقائه نضالا
يشيب لهوله الولدان ، ولم نجد في مشارق الارض ومغارها راحا ينتشلها من وهدة
البؤس ويحميها من عدوان الزمان

فكرت طويلا على أفهم أسرار الزمان في مطاردته لاهل الادب واصمائهم
بنبال الشقاء ، والالم والبلاء ، حرت في أمري ففرعت الى طيف الشعر مسائلا :
— أيها الطيف الخالد والخيال الجواب ! لم يعادي الزمن أبناءك
الافياء ، ويسالم الجهلاء الاغنياء ؟

— لولا هذا العداء ، لما اقتعد الاديب هذه الذروة السماء ، بطعنه الزمن
بمنجره فيوقظ حواسه الهاجمة فينبعث منه أنين الشعر الساحر كما يطعن الموسيقار
مرزهره بريشته فينطلق منه صوته الفتان ، بشجي الانغام والالخان
أفاض الله من نوره على بصره وقلبه ، وسمعه وشمه فرأى جمال الطبيعة وهي

عارية وفهم نظامها وانسجامها ، وسمع أنعام طيرها ورياحها ، وشم عرف شذاها
أرسله ربه هاديا للضالين ، ومعلما للجاهلين ومعزيا للمصائين ، وملطفا
لشقاء البائسين ، يحمى الاغنياء الاغنياء على ما أوتوه من حطام الدنيا وما مثلهم
إلا كمثل الانعام السائمة في المروج الخضراء لا تدرى من الدنيا إلا أن عملاً
كرشها وتتمرع في روئها

خبر الشعراء أنهم اذا شاقهم تراث الدنيا هبطوا من مقام الملائكة الشريف
الاعلى ، الى زرب الانعام النجس الادنى ، فينطفئ نور حجاجهم ، وتغلظ قلوبهم
وأكبادهم ، قل لهم ان لا يتركوا الشعر برعد ويبرق في صدورهم لئلا يقضي عليهم
وهم في ريعان شبابهم فتحرم الخلائق من برهم وخيرهم
أنبئهم بأن لا يكظموا أنبيهم المطرب ولا يخذلوا تأوهاهم المشجية قائمها عزاء
لهم ولغيرهم من المنكودين وتسبيح وتمجيد للخالق وان صادفت وقرأ في آذان
أهل الارض فسيسمعها رب رحيم عادل

المصراع:

كنت ذات ليلة ساهراً بغرفة مطالعتي ثم أفراة القسم الاخير من كتاب
(سان مار) لفخر شعراء فرنسا وحكائها (الفريد دوئيني) وقد وجدتني من
شدة التأثير زائد الحرارة ، سريع التنفس ، مستجمع الحواس هائج الاعصاب ،
وكان حروف الكتاب قد تجسمت أمام عيني حتى خيل إلي أنني أراها من وراء
منظار ، وكنت لا ألبث ان أبدأ الصحيفة حتى آتت على آخرها بسرعة غريبة
دون أن يفوتني شيء من خفي معانيها ، ودقيق مبانيها ، وبعيد مراميها ، وما وصلت
لآخر الكتاب حتى زاد اضطرابي ، وغاب صوابي واغرورت عيناى رحمة

وحانا لحانة فتين جنى عليها قلبهما الشريف الرحيم، وذكاؤهما الحاد العظيم
ذهبت كالمحموم الى فراشي وطفقت أستعرض في مخيلتي صور ما تلوته من
آيات البؤس وسطور الشقاء وألم العذاب ما أخر نومي وإطال سهادي . ثم أغفيت
عند تبشير الفجر وأتقذني النعاس من متاعي وآلامي فانتقلت الى عالم الاحلام
رأيتني سائراً في واد عظيم لم أر مثله في المقام الدنيوي يشقه نهر كبير تحفه
من الجانبين سلسلتان من جبال منحدره جللتها رياض غناء، وغابات غلباء، أشجارها
كاسية من أزهارها البديعة، وبعضها مثقل بثمارها الدانية اليانعة، تصدح فوق ايكها
بشجي أنعامها عنادل وشحاحير تجلبت بنوف الرياش، وقد انتثرت وسط هذه
الجنان قصور شائقة شاهقة بنيت جميعها بدوق سليم، ونظام عجيب، وانسجام
تام . فكانت لمحة من العين كافية لأن تلم بجميع هذه القصور المبنوثة في سفوح الجبال
الخضراء كأنها منظر من مناظر الطبيعة نقشته ريشة (كورو) وعلق فوق حائط اخضر
رأيت النهر كالماس في صفائه واستشف ناظري قراره فشاهدت فيه شعب
المرجان وأصداف اللؤلؤ واسماكاً ساحجة تبهر الرائي بجمالها والوانها
وبينا أنا مفتون بهذا النعيم إذ شعرت بيد لطيفة مست كتفي من الورا فالتفت
فأذا هو (دوتو) فعانقتي وقال : « مرحباً بذي القلب الرحيم الذي رقى لبؤسنا
وبكى لمصابنا الدنيوي . هيا بنا الى قصر (ماريون دلورم) فلربما نجد عندها أغلب
الاخوان والاصدقاء »

صحبتة الى قصر تجمعت فيه اسباب السعادة والهناء وانبعثت منه ملذات تسر
النواظر وتشنف الاسماع وتفتن القلوب ، فابتهجت لرؤية (سان مار) وبجانبه
خطيبته (لادوشيس دومانتو) تلك الفتاة الفتانة و (كورني) و (ملتون)
استقبلني الجميع بترحاب وشوق وشكروا ما أنسوه مني من عطف وحنان
ثم أنشأت (ماريون دلورم) تمزح اصدقاءها وتداعبهم برشاقتها المبهودة وجمالها الفتان
وحدثها الساحر فاقبلت من وراء (سان مار) وخطيبته ومسحت خديهما الناعمين
بيديها المزريتين بأيدي الدمى قائلة : « الآن وقد التأم شملكما ، وكفكفت

عبرانكا ، وزالت الامكا ، تمنعان بالحب والحرية بعد ما كننا لا تمكنا من
محادثة بعد شق النفس في زوايا مذبح الكنيسة وهي مقفرة دون أن يسبقكما عين
(ريشليو) . اراكما الآن قرآن في عيونكما آيات الحب العذري (كبول وفرجينى)
ثم انتقلت الى (كورني) وقالت له : « قد ارتحت من نكد الدنيا ونسيت
نعلك التى كنت تنتظر الاسكاف ريثما يخصفها لك وانت حافى القدمين وزالت
غضون وجهك وصرت تشفى أسماعنا وتهتن نفوسنا بشعر أبلغ وأرق من شعرك
الدينوي ،»

ثم جلست الى (ميلتون) وقالت له : « الآن وقد نسيت ازدراء خلاني وعدم
اهتمامهم بك حينما كنت تقرأ لهم قصائدك فى الشيطان بيهو منزلي بباريس ، وكيف
الجمالك الدهر لان تكون كاتم أسرار لعات جبار الجم فاك ، وكيف رسفت فى اغلال
العمي والشيخوخة بعد أن عضك الفقر بناه فأصبحت الآن ولا هم لك الا ان
تختال فى برد شبابك القشيب وتتنقل فى الرياض تنقل الفراش المفتون يديع الازهار
وجميل النوار »

رجعت (ماريون دولورم) الى كرسياها واقترحت على (دوتو) أن يقوم فى الجمع
خطيباً ويحدثهم عن الصداقة وقالت له : « إنك صرفت شبابك فى دراسة علم الاجتماع
والفلسفة والقوانين وكنت أنت و (سان مار) المثال الوحيد فى الدنيا للصداقة والوفاء
فلبى الامر وانشأ يقول :

« لم يخلق الله فى الدنيا نعمة أجل من الصداقة إذ هي حب مقدس أنزله الله
على قلبين طاهرين شريفين مماثلين فى الصفات والاخلاق فأصبحا وقد استنار
فؤادهما بنور الله يقرأ كل منهما ضمير الآخر ويفهم ما يرتسم على جبينه وعينه
من صور السرور أو الهموم فلا يلبث أن تنعكس هذه الصورة فى نفسه ويشعر
بعين شعور صديقه فيتوجع لبلائه ويتهلل لهنا ،»

لا صداقة بين صغير وأمير ولا بين شريرين فما الاولى إلا تملق وما الثانية
إلا اشتراك فى الجرم

شاهدت في حياتي الاولى أن بعض الناس يتخذون الصداقة التمثيلية وسيلة
لنيل ما يريدون وقضاء أغراضهم وما هؤلاء الا مداهنون منافقون
كان يكفيني من الصديق عاطفة حنان وحب ولكني ما كنت لاعتر عليها
عند أغلب هؤلاء الاصدقاء. بلوتهم فما وجدت فيهم غير مخلص وفي واحد اعتمدت
عليه وشاطرته هنائي وشقائي الى أن حز رأسينا ذاك الطاغية الجبار وأراحنا من
آلام الدنيا وفاجعاتها ،

صفيقاه الجميع تصفيق الاعجاب قائلين : « لافض فوك أيها الحكيم ،
وافتنى (ماربون دولورم) باسمحة الثغر ، بادية البشر ، وجلست الى جانبي
تلاطفي قائلة : « أما يهدأ بالاك وترقأ عبرتك مما رأيت من نعيم مقيم ، وفرح عميم
فأولى لك بعد ما شاهدته أن لا تتأثر مما تقرأه من سطور شقائنا وصور بؤسنا
والآلما فقد أنستاهذه السعادة الدائمة جميع ماضينا التعس المنكود
وبينا أنا منتعش بهذا الحلم اللذيذ إذ دوى في أذني صوت مزعج كأنه استغاثة
مكروب أو صراخ ملهوف : « خبازي ياورق العنب ، فانتبهت من سباتي وأسفت
لمبارحة هذا النعيم المقيم ، والملك الفخم العظيم



جمال الازهار

تباركت مبدع الكائنات ، وباريء المخلوقات ، ومجمل الغبراء ، بالجنات
الغناء ، والغابات الغلباء ، ومرصع النبات بشائق الازهار ، وفاتن النور . لقد
تجلت قدرتك ، وظهرت عظمتك ، في الزهرة مثال الجمال ، ونموذج الحسن
والجلال ، وآية البهاء واللطف ، ومنبع الرشاقة والظرف . كيف لا وقد سقاها
الندى بطله المنعش ، وحملت ايها الصبا عيرها الاريح ، وأرسلت اليها الشمس
من أشعتها العسجدية الواناً شتى تسر الناظرين
انها لنعيم الدنيا والآخرة عند أولى الابواب وفتنة الشعراء ، اذ هي مبددة

أحزانهم ، ومسرية أشجانهم ، وطاردة وحشهم ، ومفرجة كربهم ، ومفرحة
قلوبهم وأعظم ذكرى لجليل صنع الخالق

لما الله فظاً غليظ القلب عبث بهذا الجمال ، ولم يشفق على تلك الرقة وذلك
اللفظ فقطع أعناق الزهر وشد عليه يد جافية قاسية ، ودس أنفه فيه ليشمه فهشمه
وأحرقه بانفاسه المتأججة بنار الشره ثم يطرحه في مواطئ النعال حينما يسلم روحه
الى الصبا وجماله الى الشمس ونضارته الى الندى

مجد الاقدمون الزهر حتى قال اليونان ان بعضاً من العظام في الميتولوجيا
استحال الى أزهار اذ رووا أن النرجس كان شاباً رشيماً غض الشباب وهب جمالاً
ساحراً ، وحسناً نادراً ، يدعي (نارسيس) فافتنت به الارباب الاقدمون والخور.
وفي ذات يوم امتد فوق العشب ليشرب من ماء عين رائحة ساكنة فابصر
نفسه على صفحات الماء فحاول أن يملك شخصه الآخر المرسم على الماء فلم يستطع
فطلق يتخبط من الفيض حتى مات واستحال الى نرجسة

كما انهم أطلقوا اسم كثير من سسان الخور على بعض النباتات الجميلة مثل
(اماريليس) و (نيرين) و كانتا من حاشية (ديان) ربة الصيد واشتهرتا
بحسبهما الفتان

* * *

رحت ذات يوم الى داري بعد اقضاء أعمالى وكان يوماً عصبياً التهب فيه
الجوف فأصبح كمنثور اكلبه السجر واسعدده الوقود ، وفرت الصبا من بطش الهاجرة
وأرسلت الغزاة سهاماً محترقة صائبة فرأيت أزهار حديقتي وقد ماتت أعناقها ،
وانقبضت وريقات تويجها ، وكاد يكدرها ، الوانها تستغيث وهي صائمة بعبرات
استعارتها من قطر الندى واختلطت برحيقها المعول ثم علقت باهداب الازهار
كلها اقراط من ماص متدلية من أذن نزوي بالورود ، فهزلت اليها واقطعتها
بسوق طويلة ووضعها في أنية بلورية ملئت زلالاً بارداً . نسيت غذائي وجلست

متلهماً بجانبها الى أن انتعشت وعادت اليها نضارتها وزهاؤها وتصوبت أعناقها
فناجيتها بهذا النجاء :

ليك أيتها المخلوقات الرقيقة ، سعديك أيتها الاجسام الرشيقة ، لقد رجعت
اليك من أقصى المدينة مسرعاً لانقاذك من شر القيظ ، اني أغار على جمالك
الفتان فلا المسك ولا أقرب أنفاسي المحرقة من جسمك اللطيف ، بل أفنع باطالة
النظر اليك والاعجاب بمحاسنك الخلابة وأرضى بما ترسلينه الى من شذاك مع
نفحات الصبا لآمد في حياتك ويطول نعيمي وهناءتي وعسى أن يقتدي بي قومي
ويرأفوا بهذا البهاء واللطف ، فان الزهر لحري بالعناية والحنان ، والرحمة
والرضوان

الامل

الفت النفس منذ طفولتها ان تخلص الى الادة والسكون وتنفر من جلبلة الجماعات
وتستشبع هرج الناس ومرجهم في مواسمهم وأعيادهم وما فتئت تصبو الى العزلة
مؤثرة ان تسامر كتاباً قيماً أو تناجي زهرة جميلة حتى أصبحت تعد الدار جنتها
الفيحاء ونعيمها المقيم

ياما احبلي ليلا ينقذي من نصب الاعمال وقيظ النهار الوهن للقوى والمشتت
للخيال . ما اشهى ليلا سعيداً يسلمني الى الراحة وينعثنى بنسيم عليل يحمل شميم
الازهار ويقربني من طيف الشعر ويسكرني بنشوة الاماني والآمال وينسيني الآماً
تتجدد، وشقاء، ينتاب ويتردد

أهرع في الليل الى طنف اكتنفته الصبا وامتدت أمامه الرياض والحقول
وسكن اليه القمر فما برح يمر فوقه وينيره

لاحظت بين النجوم كوكتبا دريا ما انفك يطلع فوق رأسي وهو اكبر مما
حواله وأشد لمعانا فصببت نفسي اليه وحسبته نجماً المسير وطالعتها الذي يكتم في
صدره أسراراً يتطلع اليها روعي ولا يدري ان كانت خيراً أم شراً

أقضي هزيعاً من الليل وأنا شاخص الى نجمي المحبوب وهو يدسم لي في ثلاثه
وينظر الي نظرات فترات ملؤها العطف والحنان ويرسل الي من السماء بحية مباركة
تكاد تنسيني الوجود وتغرقني في بحار الآمال وتقتادني الى لذى الاحلام
قرأت في سماته الفتانة انه يناجيني :

— انى أكلأك بعين عنايتي وابشرك بمستقبل باسم ينيك آمانك ويسكن
الأمك وينسيك مصائبك التي لولاها لم تعرف لذة العيش ولا هناءة النعيم
استمر كوكبي العزيز يؤرجحني بنجائه الفتان والنسيم يسكرني بعبيره الارجح
حتى تحدرت أعصابي فأغنيت

فأرفت هذه النشوة وهذا النعيم الذي أعده فحماً ويراه غيرى حقيراً وانتقلت
الى عالم الاحلام فتمثت لي مسارح شقائي وحنوف اتراحي وعنائى فتبدل فرحى
كرباً ونعيمي بؤساً وبلغت الروح التراقي فقيض الله لي بعوضة لسعتني فاستيقظت
وأنا خافق القلب زائد الحرارة اتصبب عرقاً

وجهت طرفي الى نجمي وقد خالجنى الشك وساورني الارتياب قائلاً : أيها
البدر الزاهر ايامن هو مثال الحسن الساحر ا حاشاك أن تفر منكوداً اضناه زمانه
وخذله قومه وأخوانه فلم يجد راحماً في الغبراء أو مسلياً في الضراء !
أجلك وأنت في عالمك العلوي الطاهر ان تخدع ذلك الكائن الواهي
فيسترسل في أمانيه . ويقتر باضغاث أحلامه وسخيف أوهامه

أنبتنى بمصيري أيها النجم الخالد فلست ممن يضع عندم السر أو يأسفون على
حياة تعسة محوطة بضروب البلاء

ارح فؤادي من شك يكاد ينهشه وقلق أليم يساوره ويضايقه وان كنت
تعلم انه قد حم القضاء وجف القلم فلا تغيير ولا تبديل فمن على بضجة لا يقظة بهدها
تريح جسماً وأهياً ، وتغيث قلباً دامياً

أيتها البدر

هاجت الرياح وثارَت السافيات مقلة سحباً مكفهرة من العجاج حجبت
الشمس فاغبر وجه الارض ، واستتر جمال الطبيعة ونورها ، وغطت زجرجة الرياح
على الحان العنادل والشحارير ، وهدير الحمام ، وغناء القمري ، وحفيف الاشجار
داعتها الصبا ، واستكنت الاوانس والاطفال في مغانيها ، وانكشت الانعام في
حظائرها ، وافترت الرياض والحلوات ، ولبس الجو ثوب حداد قائم
اعتكفت في داري ولم أمتع بنصف هذا اليوم الذي أستريح فيه من عناء
الاعمال ، وطفقت أرقب هذا الجو الاغبر من وراء زجاج الكوى وهو يعبث
بازهار حديقتي ويلوؤها بادرانه فساورني الضيق والسأم كالسجين المحزون
ما لبثت السماء ان جادت بغيث هتان بدد الغبار ، وغسل الاشجار وارجم
الى الازهار نضارتها وزهاها فابتسم وجه الارض ، وصفا الجو ، وعاد الطير الى
غناؤه متفقلاً على الغصون الميادة
خرجت من سجن الحجر قبيل العشاء وكان الهواء ساكناً هادئاً كليالي
الربيع، فجلست في طنفي وقد أشرق البدر بسناه الناصع المتلألئ كأنه درة وهاجة
فوق بساط من ابريسم لازوردي
كشف البدر ماستره الغبار، وأظهر جمال الطبيعة وبهاء الزهر الذي نشر
عبيره الشفنى فانهشني بسرور وبشر لا يوصفان ، ورمى عليّ أشعته الوضاعة
فكسائي بطيلسان فضي
فتذني القمر بجماله الساحر وخدر حواسي المضطربة من الحبس والضيق وخيل
اليّ أن ضوءه الذي جلاني يد حسناء فتانة تشفي جريحاً ببسات تحجل وميض
البروق وتمسحه بيدها الملطفة المسكنة
لم أجد جليسا يؤنسني خيراً من البدر فأطلت النظر اليه وناجيته بهذا النجاء :

— أيها البدر الختال بشبابه الغض وفتوته المتجددة ! ليت شعري كيف
يتمادى الجاحدون في طغيانهم وينكرون آيتك البينة ! مهلتهم من شهر الى شهر حتى
كرت الحقب وهم في غيهم يعمهون

أيها القمر الجائل ! يقولون ان الكواكب هي التي تسير العالم وتتصرف
فيه ، فسلط زحل على من يجارون بجحود ران على قلوبهم ليخرس السنتم وبسبب
عقولهم ويتركهم يتخبطون في البؤس والشقا.

أيها البدر ! سلط سحبك العتمة لتكون حائلا بينك وبين من انعم الله عليهم
فكفروا بانعمه وانكروه

أيها القمر ! حرض كواكبك لتدق عليهم شهباً ناقبة تطهر منهم الارض لئلا
تنتشر عدواهم الى الصالحين

أيها البدر ! اصبح هؤلاء الزنادقة كالجيف تهبث منها الروائح المنتنة فتسمم
الهواء والماء ، فارسل اليهم ريحا صرصراً عاتية تحملهم الى أعماق الدماء فلا تذر
منهم باقية

أيها البدر ! اشهدك يوم الدين اني برى من هؤلاء الشياطين ، ولو استطعت
أن أجازيهم بما منيت لهم لما احجمت ، فأكتفي بصب اللعنات على رؤوسهم الممقوتة
الى ان يبطش بهم الجبار ، ويساقوا الى النار ، وبئس المثوى والقرار .

النور

سلام أيها المثل الاعلى ، نحية طيبة يامن هو زين الكائنات ، أدامك الله لانفوس
بهجة وقلوب ملذة ، ولعالميون مسرة

سلام واجلال ، لثال البهاء والجمال ، سلام يا نجر الكمال ، وعنوان العظمة
والجلال

أنت مسير الاكوان ، أنت ميزان الزمان ، أنت المطلب الاسمي للانسان ،
أنت أعظم أمنية للنبات والحيوان ، أنت مفرج الكروب ومبديد الاحزان

تهابك الاشرار، ويمقتك القجار، وتفر منك السباع العائية، والهوام المؤذية
كثيراً ما تساورني الاحزان، وتطاردني بجيوشها الاشجان، فتبعد النوم عن
الاجفان، ويتجافى جنبي عن الوساد، وأقضي ليلي حليف ألم وسهاد، أنشد مفرجا
لكربي، ومنجياً من ألمي ووصبي،

ما أطول الليل على ما لم ينم! اذ تعرض على في ظلمات الليل الاليل مناظر
الهوم المروعة، ومسارح الآلام الفاجعة، فاطن أن ليلي أطول من دهر، ولا
ينفك اليأس بصارع مني الصبر، حتى يصيح الديك بنشيد الفخم، وهو سلوان
المكروب، وعزاء المغلوب، والمبشر باقتراب الصباح، وانتهاء نضال الاتراح
مر هزيع آخر من الليل ولما الملح تباشير السحر، فعاودني اليأس وقلت لعن الله
الكذب وما أشنع اذ تسربت جرائمه الى الطير وأصبح بعض الديكة يؤذن
قبل الفجر

سمعت بعد هده من الليل مؤذناً وخيم الصوت ينادي حي على الفلاح فقلت
أفلق من صدق ولا فض فوك ولا زال يردد في الليل البهيم صدى ألعانه التي تخفف
عن القلوب أثقها، وتسكن أوصابها وآلامها، وحمداً لله على قرب انتهاء العذاب
وترنمت بقول القائل

اشتدى أزمة تنفجى قد آذن ليلاك بالبلج

وما لبث أن بزغ الصباح وأنقذني من عذابي المستمر فهرولت الى الكوة
ورفعت عنها الاستار وفتحتها وناديت نداء المتهلل الظافر: سلام يا مفرج الكروب
سلام يا مفرح القلوب، سلام أيها المخلص من الآلام الثقال، سلام يا روح الجمال،
سلام يا سر الجلال، سلام أيها النور، الف نحية طيبة مخضلة بيليل نذاك، معطرة
بعرف أزهارك، تحملها الآرام الرشيقه السارحة، وتبلغك المنادل الصادحة

انك تتجلى فوق الاشياء فتظهر جمالها الخفي وقبحها المستور المزيف وتبين
خائنة الاعين وما تخفى الصدور، فبارك الله فيك أيها النور! وخذلك مدى الازمان
والدهور!

أنت الذي تمنح النبات خضرته الزاهية ، والأزهار ألوانها البديعة الموقنة
وتطلق الطير والحيوان من سجن الليل فتطلق وقت تبلجك من أوكارها وحظائرهما
متهلهة صادحة باغمة : بوركت أيها النور البار

تسل صارم سطوتك في وجوه الاشرار ، فلا يظهرون وقت تجليك ، وتسدد
نظراتك الرائعة في وجوه الفجار ، فبركنون الى الفرار ، خشية الفضيحة والعار
تجنبك السباع واقفة من انك ترشد اليها كل قناص وصياد ، ونحذر الايائل
والمهامن وثبات الضراري وتمنحها حدة في أبصارها ، تكفيها غائلتها وشرورها
وتخاف بطشك الهوام والجرائم فتستكن في جحورها ، وتنكش في بؤرها

أنت الذي تنفذ الى العقول حينما تستغيث بك لحل المعميات فتفيض عليها
من التفحات العلوية ، والفيوض الربانية ، ما يحل عويصها ، ويظهر مكنوناتها ،
أنت الذي تتجلى على الفكر فتفتحه برائع الخيال ، وساحر الشعر ، وبلغ
القول ، وجيليل الحكم ، فتنتطق الالسنة قائلة : سلام أيها النور ، سلام يامسير
الاكوان ، اسلام ياميزان الزمان

الظالم

تبت يدك أيها الكافر الباغي ! نكثتك أمك أيها الظالم الطاغوي ! توالت
عليك اللعنات ! وصبت فوق رأسك الحن والافات !

تنفض على الابرار بدياجيرك المروعة وآلامك ومصائبك الفاجعة ، فتعمي
منهم الابصار وتسد عليهم المسالك ليكفوك شدة المطاردة ويقفوا بين يديك حيارى
أذلاء ، كسخال وديعة ترتعد أمام ذئب ضار ثم انقض عليها يقرب بطن هذه ويشق
ظهر تلك

فثناك كمثل الصائتد الظالم يحرض بازيه على ظلية الكناس فيقتأ عينها دون
رحمة ولو كان له قلب لما استطاع أن يثبت أمام ما أسدده اليه من نبال عينها

الدعاجون أو يسلم من سحر جفونها الوطاء فتخبط المسكينة تخبط من مسه الشيطان
وعيناها غارقتان في دماثها تشدانه دون جدوى نوراً يهديها الى كناسها ويربها
جمال آرامها

ترمي شباكك السوداء على العالم وهو مطمئن فتخرجه من نهر الهناءة ، الى
لظى العذاب والشقاء ، ترسل أعوانك الاشرار ، الى الطيبين الابرار ، فيسلبونهم
نعيمهم ، ويحرمونهم هناءتهم ويعكرون صفوهم
ماهدت أعوانك الاكلخفايش والبوم ينامون النهار ويقومون الليل قترشدم
لاختلاس الاموال وقطع الطرق وازهاق النفوس وهتك الاعراض
تسلط علينا الشرور كحجر التقي وسط خميلة أوت اليها الافاعي فهاجبا من منامها
وخرجت غضابا فاغرات أفواها تنهش كل من تصادفه

اخترت لك الاشرار والفجار حاشية ، والسباع الضارية جنداً ، والهوام المؤذية
تبعاً ، والجرائم الفتاكة خولا ، فتهدم ما بناه النور ، وتفسد ما يصلحه
فانك الله أيها الانسان ما أظلمك ا لو آنس منك ربك انصافاً لما أوجد
الظلام . عرف منك الجشع والعتو فارسل اليك الظلام لتسكن فيه وتعطي لبدنك
وعقلك نصيباً من الراحة يؤهلها لمواصلة العمل ومداومة التفكير
تسدل أيها الظلام وشاحك الاسود على الطبيعة الجميلة المشرقة الحية الناطقة
فتستر جمالها وتطفى أنوارها ، وتقف حركتها ، وتلجم أفواها ، وتقطع الحانها
وتهبج أشجانها وتثير آلامها

حنانك اللهم ورحمك ! فقد صبرنا على جميع فاجمات الظلام وتسلط على
أموالنا وأرواحنا وأعراضنا وآمالنا فلا تدعه يتسرب الى عقولنا التي بقيت لنا من
حطام الدنيا فنصبح كالانعام أو أضل سبيلاً ، وان سبقت به مشيئتك فامتنا
ولا تترك هذا الكافر يشوه خلقك الكريم ، يا نعم المولى ونعم الرحيم